

مسرح الطفل في ظل جائحة كورونا

Children's Theatre under corona pandemic

د. علي محداوي، وجميلة زيغمي

جامعة قاصدي مرباح، ورقلة (الجزائر).

تاريخ الاستلام: 2021/05/10 - تاريخ القبول: 2021/05/15 - تاريخ النشر: 2021/06/01

ملخص: شهد العالم في الفترة الأخيرة ركودا في شتى المجالات بسبب تفشي فيروس كورونا؛ وقد كان المسرح واحداً من تلك المجالات التي تأثرت بهذه الأزمة مما أدى إلى توقيف مختلف النشاطات المسرحية، فكان لابد من اللجوء إلى عروض قصيرة عن بعد قصد توجيه الطفل وتعريفه بهذا الفيروس؛ لذا توجه بعضهم لإكمال نشاطهم عبر شبكات التواصل، من منطلق أن المسرح وسيلة ينبغي استغلالها والتعامل معها بشكل إيجابي وقد يساعد في توعية الطفل، ومن هنا كان هذا التساؤل: كيف كان مسرح الطفل في ظل هذه الجائحة؟ وما هو دوره كفن في التوعية والإرشاد؟

الكلمات المفتاحية: مسرح، الطفل، فيروس، كورونا.

Children's Theatre under corona pandemic

Abstract:

The world has witnessed a recession in various fields and this is due to the outbreak of the coronavirus, and the theater was one of those areas that was greatly affected by this crisis, which led to the suspension of various performances and theatrical activities, so it was necessary to resort to short theatrical performances remotely in order to guide the child and introduce him to this virus; Positively, it may help raise and educate the child, we have stood ask the question: which is how was the children's theatre in the midst of up to this pandemic?

Key words: Theatre; Child; Virus; Corona

1. مقدمة:

يعد المسرح من أهم الوسائط الثقافية في تربية الأطفال، لما يتضمنه من قيم ومعانٍ تعمل على تنمية شخصيتهم ومداركهم، فهو فن يشتمل على مجموعة من المتغيرات المتباينة كالحوار والحركة والموسيقى والديكور وغيرها من الأشياء، لذلك يمكن اعتباره من الأنشطة المهمة والأساليب الفعالة في إبراز هوية الأطفال وصقل مواهبهم وإبداعاتهم، وتحقيق طموحاتهم ورغباتهم، باعتبار هذا الفن وسيلة فعالة في التعليم والتنقيف ونشر الأفكار الخيرة والوعي.

وقد كان لا بد لهذا الفن في زمن الجائحة أن يواصل مشواره أثناء تلك الفترة ولا يتوقف عن تمرير رسائل إيجابية للأطفال يمكنها أن تخفف عنهم ضغط البقاء في المنزل وتخرجهم من الملل والروتين الذي كانوا يعيشونه وتوعيتهم وترشدتهم إلى مخاطر هذا الوباء سريع الانتشار، فما رأيناه في العام الماضي (2020)، جعل العالم كله يقف في ثبات تام حيث وُضعت الحكومات والشعوب في اختبار صعب لمواجهة هذا الوباء، وكُمت الأوجه وعُقت المدن وأصبح العالم كله ينتظر الإحصائيات على شاشات التلفاز، نعم إنها تجربة مريرة مررنا بها نسأل الله أن نتزاح وألا نتكرر.

استطاع وباء كورونا أن يجعل السكن في البيت الذي كان حصن أمان، مما جعل الكثير يفضل الانعزال ويتوجه نحو مواقع التواصل الاجتماعي لبث الأفكار؛ وبدأ الناس في الحديث عن الخطر الذي يُحدق بهم فقامت المؤسسات الثقافية بالتفاعل وبث البرامج والفعاليات الثقافية للتوعية والقضاء على الفراغ الذي يواجه المجتمع وذلك لتهيئة الشعوب لمواجهة مثل هذه الأزمات، ولقد رأينا عد نشاطات وعدة تجارب على مواقع التواصل الاجتماعي، والتي كانت لها القدرة على تفعيل الفن لخلق جو مناسب للأطفال يخرجهم من هذا الكابوس المرعب. لقد كان الفضاء الرقمي بمثابة حاضنة للعديد من النشاطات التي أثبتت إلا أن تواصل مشوارها وتبث رسائل توعوية عن بعد وتخفف من ذلك الضغط والملل الذي أصاب جل شرائح المجتمع خاصة الأطفال. إذ ينعكس ذلك على نفسياتهم في ظل استحالة مغادرة البيت، وكان لا بد من وجود أنشطة تخرجهم من العزلة والخوف الذي ساد تلك الفترة.

فتلك العزلة التي خيمت على المجتمع وعلى المسرح بصفة خاصة أثناء الأزمة لن تزيده إلا توهجا؛ فحتى وإن لم تكن هناك عروض إلا أن فن المسرح ظل يسكن في قلوب محبيه يعيش ويتعايش معهم، وقد كانت تلك الفترة فرصة للمؤلفين للاعتكاف على الكتابة وتطوير بعض المواضيع في انتظار

انجلاء هذه الأزمة، ولأن المسرح كفن مستقل رفض ارتداء الكمامة هو الآخر واختار البقاء مع احترام قواعد التباعد الاجتماعي، ولأنه صنو المجتمع فقد التزم بما التزم به المجتمع كذلك، وكذلك فعل المسرحيون حينما عزموا على تقديم أعمال قصد التصدي لهذا الوباء، ومنع انتشاره، ونشر التوعية بين الأفراد. بينما اختار البعض الابتعاد عن منصات التواصل الاجتماعي لمشاهدة تلك العروض مصورة، والتفاعل معها سواء بالسلب أو بالإيجاب، ومن كل هذا نقف لنطرح أهم سؤال وهو: هل يكفي تقديم أعمال مسرحية مصورة على منصات التواصل الاجتماعي حتى يظل المسرح نابضا في قلوب محبيه؟

تأتي أهمية البحث في كونه يسلط الضوء على مسرح الطفل خصوصا في فترة أزمة كورونا وكيف كان وهل بالفعل استطاع أن يُبلِّغ رسالته ويؤثر في الأطفال؟ ومنه جاءت فكرة البحث لتعبّر عن طريقة تتناسب مع كل تلك المعوقات شريطة أن تتحقق المتعة والتشويق فضلا عن طرق تفاعل حقيقي لأفكار إبداعية بسيطة غير مكلفة وبطرق سهلة ومحبية للأطفال كما أنها يمكن أن تنمي مهارات الأطفال وتوعيتهم. انطلاقا من هذه المعطيات يسعى هذا البحث ليجيب على أهم إشكالية وهي: ما هو واقع الممارسة المسرحية الموجهة للطفل في ظل جائحة كورونا؟ ويسعى إلى مناقشة توظيف المسرح باعتباره وسيلة فعّالة للتأثير على الطفل والقيام بالدور التوعوي المنشود أثناء جائحة كورونا وطرق الوقاية منها والحد من انتشارها وجعل المواقع الافتراضية وسيلة تعمل على جمع الشمل وتوفير الدعم والتوعية وتحويل الآلة من وسيلة اغتراب إلى وسيلة اتصال وتواصل فعال.

وفي سبيل حديثنا عن مسرح الطفل ينبغي أن نميز بين نوعين من الأدب الموجه للطفل وهما: مسرح الطفل والمسرح المدرسي.

2- الأدب الموجه للطفل:

2-1- مسرح الطفل والمسرح المدرسي:

ينبغي أن نشير إلى الاختلاف بين مسرح الطفل والمسرح المدرسي.

2-1-1- مسرح الطفل:

أ- في تعريف مسرح الطفل بصفة عامة، يشير هذا النوع عدة إشكاليات على مستوى التعريف والتحديد والتدقيق، وتظهر هذه الصعوبة جلية من خلال مراجعة الموسوعات والقواميس وكتب أدب الطفل لكن الجميع يتفق على أنه المسرح المخصص للأطفال الصغار سواء من خلال مواضيعه أو عروضه، وقد يمثل فيه الكبار إلى جانب الصغار.

ب- ويحدد قاموس أكسفورد هذا المصطلح كما يلي: "هو عروض الممثلين المحترفين أو الهواة الصغار، سواء على خشبة المسرح أو في قاعة معدة لذلك" (عبد المنعم، 2007، ص15).

ت- أما معجم المصطلحات الدرامية يعرف مسرح الطفل "بأنه المكان المهيأ مسرحيا لتقديم عروض تمثيلية كُتبت وأُخرجت خصيصا لمشاهدين من الأطفال، وقد يكون اللاعبون كلهم أطفالا" (إلياس وقصاب، 1977، ص41).

ويعرفه حسن مرعي بأنه "المسرح الذي يقدمه المحترفون المتخصصون للأطفال، ويمثل فيه الصغار إلى جانب الكبار في بعض العروض" (مرعي، 1993، ص15). وهذا النوع من النشاطات يكون خارج المؤسسة التربوية كنشاط حر؛ فهو إذن ذلك المسرح الذي يخدم الطفولة سواء قام به الصغار أو الكبار مادام الهدف منه إمتاع الطفل والترفيه عنه، وإثارة معارفه ووجدانه وحسه الحركي، كما يُقصد به تشخيص الطفل لأدوار تمثيلية ومواقف درامية للتواصل مع الكبار أو الصغار. وقد شهدنا مؤخرا عددا من العروض المسرحية على شبكات مواقع التواصل التي كان هدفها توعية الطفل وإرشاده لاتباع طرق السلامة للحفاظ على سلامته وتفادي العدوى وانتشار المرض.

2-1-2- المسرح المدرسي:

عند الحديث عن المسرح المدرسي، أو التربوي، لا بد من التطرق إلى المدرسة التي تعتبر النواة الأولى في المسرح المدرسي وفي حياة الطفل، على اعتبار أن المسرحية تقام أساسا في المدرسة أولا، ثم يأتي الدور الثاني للتلميذ. وباعتبار أن المدرسة تعد المصدر الأساسي في عملية التعلم والتعليم، فهذه العملية تستمر طوال مراحل عمره الأولى لما تحمله من مناهج مختلفة (متمثلة في المعلم، المنهج، التلميذ)، ومن ثمّ متابعة تطورات التلميذ، وبالتالي بناء شخصية الذات الإنسانية القادرة على التفكير السليم، واتخاذ القرارات المناسبة.

وعليه فإن المسرح المدرسي يمثل ركيزة هامة من ركائز الأنشطة التربوية، والتي بدورها تساهم في تحسين سلوك التلميذ نحو الأفضل، كما أن تسمية المسرح المدرسي تنقسم إلى قسمين: المسرح والمدرسة، وقد نسب المسرح إلى المدرسة على وجه الخصوص، إذن فهو نشاط مسرحي مكاني من حيث نسبه إلى مكان معلوم وبمعنى آخر هو مجموعة النشاطات المسرحية التي تقام في المدارس والتي تقدم فيها أعمال

مسرحية لجمهور من الزملاء والأساتذة وأولياء الأمور، وهي تعتمد أساسا على إشباع الهوايات المختلفة للتلاميذ كالتمثيل والرسم والموسيقى وغيرها" (عمارة، 2013، ص160،166).

ولا يمكننا التفصيل أكثر في هذا النوع نظرا للظروف التي مرت به في زمن كورونا ولكون هذا النوع من المسرح مغيبا في الجزائر مع الأسف.

ثانيا: أهمية المسرح في التربية والتعليم:

نظرا لأن المسرح من أقوى الأنشطة فاعلية وجاذبية لدى الأطفال، فإن هناك أهدافا تربوية يقوم عليها هذا النشاط، ويسعى من خلالها إلى تنمية شخصية التلميذ وتخليصه من الخجل، وتدريبه على الإلقاء الصحيح، وتقوية اللغة العربية الفصيحة لديه، إلا أن بعض التلاميذ يعزف عن المشاركة بسبب خجله وارتباكته، ولذلك ينبغي كسر حاجز الخجل وتقوية شخصية الطفل عن طريق إشراكه في التمثيل، والتفاعل مع زملائه، لكي يتشجع ويقف أمام الجميع متمالكا نفسه ووثاقا منها، مرتبا كلماته التي يطرحها أمام الجميع، وكل هذا يحتاج طبعا إلى جهد كبير.

وبما أن المسرح فن من الفنون الأدبية والتعليمية المهمة التي تجمع بين الحركة والحوار، سواء أقام به الطفل أم كان متفرجا كما في مسرح العرائس والدمى مثلا، فإنه ينبغي أن نشير إلى أهم شيء بالنسبة للطفل وهو اللعب فهو جزء مهم من مسرح الطفل وله دور أساسي؛ كما أنه يعتبر من أهم المقومات بالنسبة للطفل، فهناك "صلة وثيقة جدا بين اللعب عند الأطفال ومشاهدة المسرح، فكلاهما نوع من الدراما الاجتماعية، وكلاهما وسيلة للتطهير والتنفيس عن الطاقة المكبوتة أو الزائدة، كما أن ممارسة الطفل للألعاب الدراما الاجتماعية تسمح له عادة بتقليد حركات الشخصية التي يقوم بها، كما يقلد كلامها وأفعالها وتصرفاتها من خلال توحيد الطفل الشخصي بنموذج تعلق به، أو من خلال توحده الوضعي بنماذج تمثل له معايير اجتماعية أو معايير للجنس في مجتمعه" (كنعان، 2011، ص100)، ويعتبر مدخلا وظيفيا إلى عالم الطفولة، ووسيطا تربويا فعالا في تشكيل شخصية المتعلم، فتلك النشاطات تكسب الطفل التجربة من خلال تفاعله مع زملائه.

والهدف الرئيسي من كل هذا هو تحقيق نشاط تعليمي تثقيفي، وترفيهي في الوقت نفسه، وتوعية الطفل وإرشاده، وتنشئته تنشئةً سوية، وهكذا تتأكد أهمية مسرح الطفل، ويمكن تلخيصها في هذه النقاط التالية (ميلاد، 2011، ص146):

- 1- اطلاع الأطفال على العالم المحيط بهم وتوعيتهم بتراثهم العربي وتاريخهم وحضارتهم والتعرف على حياة الآخرين.
 - 2- تنشئة الأطفال على القيم والأخلاق السوية وتعزيز العادات الإسلامية الرفيعة.
 - 3- استثمار أوقات الفراغ وطاقات الأطفال بالإضافة إلى كشف المواهب الفنية والقدرات العقلية والاتجاهات الإيجابية السليمة وتنميتها لدى الأطفال.
 - 4- رفع المستوى التحصيلي المعرفي والثقافي العلمي لدى الأطفال.
 - 5- بث روح التعاون والثقة بالنفس بين الأطفال، والعمل بروح الفريق.
 - 6- معالجة بعض المشكلات السلوكية والنفسية والاجتماعية لدى الأطفال، وتمكين الطفل من استيعاب المعلومات الدراسية.
 - 7- تنمية الفكر عن طريق تقديم وجهات نظر جديدة ومتعددة حول الأشياء.
- كما لا ينبغي أن ننسى دور الشخصية المسرحية وتأثيرها هي الأخرى على الطفل، حيث إن الشخصية تعد أهم مقومات المسرحية بصفة عامة، فهي بمثابة المحرك الرئيسي للعمل المسرحي، إذ لا يمكن لأي عمل مسرحي أن يقوم بدون شخصية؛ فبواسطتها يتمكن الطفل من استقبال أحداث المسرحية بتشويق ومتعة وجاذبية، فهي الأقوى تأثيراً على الطفل، ويتطلب تحقيق هذا الهدف جهداً فكرياً وجمالياً إذ يجب أن تتوفر فيها شروط وسمات معينة يمكن إجمالها فيما يلي:
- 1- التمايز (أن تكون شخصية مميزة وقادرة على الإقناع والتأثير).
 - 2- الوضوح في الشكل والمضمون.
 - 3- التقليل في عدد الشخصيات.
 - 4- تقديم الشخصيات التي تجسد الخصال النبيلة.
- ويفضل قدر الإمكان عدم نسيان الشخصيات القادرة على الإضحاك، هذه السمات تجعل من الشخصية المسرحية شخصية مقنعة قادرة على التأثير، حيث يرتبط بها الطفل ويتفاعل معها في علاقة تقمص. ويجب الإشارة هنا إلى أن تفاعل الطفل وتأثره بالشخصية المسرحية يرتبط بالمرحلة العمرية للطفل وقدراته الخاصة.

وتستهوي الأطفال الشخصيات الشجاعة المحبوبة التي تستطيع التغلب على كل العقبات، كما تستهويهم كذلك الشخصيات الغريبة والمضحكة، ويفضلون شخصية البطل الذي ينتصر على الشرير، فالطفل يميل إلى الخير بطبعه، ويكره الشخصيات الشريرة المؤذية غير الصادقة، بالإضافة إلى أنه يتأثر "بسمات وصفات الشخصيات الواردة في المسرحية من الحجم، والشكل، والبنية، والقوام، وضخامة الشكل ونحافته، بحيث تشكل انطباعاته الأولى" (عمراني، 2006، ص60).

ويُفضل أيضا التنوع في الشخصيات، فالشخصية إذن هي الأخرى -كما قلنا- تعد مصدر إبهار وتنقيف للطفل؛ فهي تتحرك في فضاء ممتلئ ماديا وغني بالأحداث والمشاعر، كما تعتبر من أهم عناصر الجذب والتشويق لدى الطفل، ونجاح الشخصية في التأثير على الطفل يُعد نجاح المسرحية بحد ذاتها؛ فمن خلالها نستطيع تقديم عدة رسائل تربوية وأخلاقية للتلاميذ بطرق محببة لهم.

وللإشارة فقط يجب أن تكون نهاية المسرحية نهاية سعيدة، ينتصر فيها الخير على الشر، وأن تكون شخصياتها دالة على قيم أخلاقية وتربوية، وتحمل منظومة من المعارف العامة المفيدة.

3- المسرح ودوره في توعية الطفل من خلال مواقع التواصل الاجتماعي:

مع قدوم هذه الجائحة وتفشي الفيروس بات العالم يعاني الكثير من الصراعات والأزمات التي أصبح لها تأثير على النمط المعيشي للمجتمعات وعلى تطلعاتهم للمستقبل.

وفي الوقت الذي أغلقت فيه المسارح أبوابها جراء هذا الفيروس أبي البعض أن يستسلم لتلك الأوضاع ويقطع حبل الوصال بينه وبين جمهوره ومحبيه، بل يرى نفسه يجب أن يبقى صامداً واقفاً في هذه الظروف لكي يبث في قلوب الأطفال بعض الأمان ويعطيهم طاقة إيجابية ويكسر روتينهم اليومي خاصة بعد إلزامهم بالبقاء في البيت.

وقد كان الفضاء الرقمي ملاذهم لكسر الحجر الصحي الأمر الذي انعكس بالسلب على الحالة النفسية الأطفال فأصبحوا يعيشون في خوف رهيب وفراغ وملل، وفي ظل منع الخروج والتواصل مع الآخرين اختار البعض منهم الجلوس أمام التلفزيون لمشاهدة أفلام الكرتون والبعض الآخر فضل شبكات التواصل الاجتماعي التي كانت صاحبة النصيب الأكبر في هذا الأمر.

لقد أثرت شبكات التواصل الاجتماعي بدرجة كبيرة في تنشئة الأطفال، ويختلف هذا التأثير إما إيجابيا استنادا إلى أنه يمكن توظيف هذه الوسائل كأداة لبث القيم الإيجابية، وإما سلبيا من منطلق أنها أسهمت في تراجع الدور الذي تقوم به مؤسسات التنشئة الأصلية (الأسرة خاصة)، والتي لم تعد مخزناً للقيم

بعد أن استولت وسائل التواصل الاجتماعي على عقول النشء والشباب، ووصل الأمر إلى درجة الإدمان، وبدأت تهدد الكثير من القيم التي كانت تحرص عليها الأسرة؛ فهذه المواقع جعلت الطفل أسيراً داخل عوالم افتراضية، قد تكون بعيدة عن رقابة الأهل.

وينبغي علينا أن نواكب التطورات التكنولوجية، ليس في إهدار الوقت واللعب وصرف المال فقط، وإنما بأن نتواصل عن بعد حيث أن الوضع الراهن يحتم علينا توظيف تلك الوسيلة بهدف نشر التوعية بشكل عام وجائحة كورونا بشكل خاص، من خلال توظيف فنون المسرح من الإبهار والتشويق والحكي والمؤثرات والدمى بأنواعها بصورة تتلاءم مع ماهية مواقع التواصل عن بعد لتقريب المسافات الفكرية وتحقيق الهدف التوعوي المنشود ذلك استناداً لأهمية المسرح.

والمتصفح لهذه المواقع يجد عدة عروض مسرحية خُصصت للأطفال في سبيل إرشادهم، وقد تنوعت تجارب المسرحيين في زمن **الكورونا**، تجارب رسموا بها ملامح أخرى للمسرح، لكن اتفق جميعهم على موضوع واحد؛ وهو كيفية محاربة هذا الوباء وتوعية الناس بمخاطره، وكل منهم تناوله بطريقة مختلفة: فمنهم من أنشأ صفحات عبر الفيسبوك لعرض مسرحيات والنقاش بخصوصها، ومنهم من قدم أنشطة مسرحية موجهة للأطفال، ومنهم من بقي بعيداً عن الأضواء مثله مثل أي متفرج.

ومن بين المسرحيين الذين خاضوا غمار هذه التجربة نذكر مثلاً تجربة الأستاذ **منير العماري**، وهو الذي كان يقدم محتوى مسرحياً موجهاً للأطفال، فمنذ بداية الحجر الصحي أنشأ صفحة على الفيسبوك سماها: **(ألعاب درامية منزلية للطفل والعائلة)**، يقدم من خلالها أنشطة متنوعة للأطفال على شاكلة فيديوهات تتضمن ألعاب وتمارين وحكايات ما قبل النوم؛ وهي موجهة لفئة الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة.

ولأن الحجر الصحي حال دون التحاق الأطفال بمراكزهم الخاصة وأقسامهم فقد فضل الأستاذ منير العماري تقديم عروض مسرحية عن بعد يحاول من خلالها تبسيط المعلومات قدر الإمكان، تلك الألعاب التي كان يقدمها تهدف إلى طمس الانعكاسات السلبية النفسية للحجر الصحي ولكسر ضجر الطفل من الوسط الضيق، وتلك الأنشطة كانت تمزج بين التعليم والتسلية، كما أنه كان يعتمد فيها على الأنشطة القائمة على الاكتشاف والتسلية والترفيه وتعزيز الثقة في النفس، والتشجيع على الخيال والتخيل من خلال المسرح لجذب وكسب الأطفال ومد جسور من الثقة بين المسرح والجمهور.

أيضا عندما نتصفح شبكة الإنترنت نجد مسرحية (يلا عالمدرسة) وهي مسرحية توعوية هادفة تم بثها على إحدى القنوات التلفزيونية، وتتضمن هي الأخرى العديد من النصائح والإرشادات المهمة للأطفال للوقاية من الفيروس خاصة مع هذا العام الدراسي. وهي من إعداد فريق عالم الدمى لتنمية مهارات الطفل بعمان.

كما وضع المسرح الوطني الجزائري احتفاءً باليوم العالمي للطفولة برنامجاً افتراضياً متنوعاً، فقد عرض عبر قنواته في اليوتيوب عدة عروض مسرحية مخصصة للأطفال منها: مسرحية قصر الأحلام، ثوب السر، صديق البيئة، جيل الإنترنت وغيرها من العروض كما أقام مسابقتي (أحسن عرض افتراضي بالمنزل لشهر رمضان الفارط، والكتابة المسرحية الموجهة للأطفال حول الوقاية من فيروس كورونا).

إن هذا النوع من الأعمال يهدف إلى التوعية الصحية بين الأطفال للحد من انتشار المرض، وتعريف الأطفال بأهمية النظافة الشخصية والأدوات اللازمة وضرورة الالتزام بجميع الإجراءات الوقائية وقواعد السلامة والحرص على إتباع الممارسات الصحية. وقد لاقت هذه الأفكار استحساناً كبيراً من طرف المتلقيين الكبار كما زادت رعاية الأولياء لأبنائهم الصغار، كما عبرت عن نجاح تلك الأفكار فكل هذه الأعمال مجرد ومضة مضيئة تتمنى أن تجعل من وسائل التواصل الاجتماعي وسيلة حقيقية لتحقيق التواصل بين أفراد الأسرة لا الاغتراب والابتعاد وإبعاد الأفراد عن بعضهم البعض.

4- أثر المسرح في تنمية شخصية الطفل:

يمثل المسرح حاضنة فكرية وثقافية وتربوية للطفل، لما يمتلكه من عناصر تأثير وجذب في نفسية الطفل، وذلك من خلال تقديمه لعدد من الصور الجمالية والفنية المحملة بعدد من المفاهيم والأهداف الفكرية، حيث يُسهم مساهمة فعالة في إحداث التغييرات النوعية على شخصية الفرد وبلورتها من أجل النهوض بالواقع العلمي، وهو وسيلة من وسائل الاتصال المؤثر في تكوين اتجاهات الطفل وميوله.

وفي هذا الصدد ينبّه العلماء على "أن الأعمار الأولى من حياة الطفل هي أهمها في تشكيل عقل الطفل وذكائه، وعليه فإن الرعاية الحسنة والتربية الصالحة المبكرة يكون لها دور فعال في شحذ الشخصية السوية للطفل منذ فترة نموه وتنشئته وتوجيهه وخلق الجو المناسب والبيئة الملائمة لنشاط عقلي مثمر في مجالات الخيال والتذكر وتركيز الانتباه والربط بين الحوادث وفهم الأفكار وما إلى ذلك مما يساعد على نمو العمليات العقلية وتطورها" (الهاشمي، 2009، ص75).

إن المسرحية الناجحة هي التي تحاكي حاجات الأطفال وقدراتهم في مراحل العمر المختلفة، بحيث تختلف مستوياتهم تبعاً لذلك من نواحي رقي الأهداف والارتفاع بها. "مسرحية الأطفال في سن الطفولة المتوسطة تمتاز بوضوح الحدث الرئيس، وبساطة لغتها ووضوح الفكرة، وقلة الأحداث الفرعية المصاحبة، وقصر وقت العرض. ويتوقف نجاح المسرحية على أنها تعتمد على جودة الفكرة المعبر عنها بالكلمة المنتقاة، والعبارة السهلة والجو اللغوي المحبب للطفل" (الهاشمي، 2009، ص277).

وما يميز المسرحية الناجحة هو عنصر التشويق الذي يستمده الممثلون من فكرة المسرحية وموضوعها، ويكمن الأثر البارز للمسرح على الطفل إجمالاً فيما يلي (الهاشمي، 2009، ص278.286):

1- تعويد الأطفال على التعبير السليم وإجادة الكلام وتنمية ثروتهم اللغوية والنهوض بأدوارهم الأدبية والفنية وتوجيههم واستغلال استعداداتهم.

2- تعد المسرحية وسيلة لتهديب النفوس وتربية الوجدان وتنمية الاتجاهات الاجتماعية وكسب المهارة، فالتربية الحديثة تهتم بتنمية الشخصية ككل، أي تنمية الجوانب المعرفية والجوانب الانفعالية.

3- إن المسرحية هي الوسيلة التي تعودهم على فن الإلقاء والتمثيل، وإتقان التعبير، والثقة بالنفس، والإقدام في العمل، وخوض مجالات الحياة. كما تبعث فيهم روحاً بعيدة عن الخمول؛ لأنها تتفق والتربية الحديثة، وتبث فيهم روح المرح والنشاط، وتحبب إليهم الحياة المدرسية.

4- تساعد الطفل على كسب مهارات متنوعة كما تُعد عاملاً من عوامل التسلية.

كما يمكن رصد تأثير المسرح في تنمية شخصية الطفل من خلال ما يلي:

1- مساعدة الأطفال أن يعيشوا خبرات الآخرين.

2- إتاحة الفرصة للأطفال لكي يشاركوا في وجهات نظر الآخرين.

3- توسيع آفاق الأطفال، وجعل شخصيات متسامحة منهم تتقبل الغير وتتفهم ثقافته .

4- تعزيز الثقة بالنفس وتنمية الحاسة النقدية لدى التلاميذ لاسيما الأطفال المشاركين في التمثيل.

5- التثقيف الرقمي بالنسبة للطفل:

إن من أبرز مظاهر التحضر عند الأمم هو الاهتمام بالفنون وترقيتها، وبعد المسرح وسيطا فعالا في تثقيف الطفل وتوجيهه نحو السلوك الصحيح السوي. من هذا المنطلق يتوجب علينا استثمار هذا الفن والإبداع فيه لتنشئة الأطفال فكريا وسلوكيا.

وقد كان المسرح دوماً قريباً لقلوب الأطفال كون أن الطفل يميل دوماً إلى التقليد والتمثيل وكون أن الدراما المتواجدة فيه مأخوذة من حياتنا اليومية لذلك نجده يتجاوز مع تلك المواقف ويتأثر بها فتلك التجارب رغم بساطتها إلا أنها تؤدي دوراً مهماً في بناء جيل من الأطفال المتشبعين بالقيم الدينية والاجتماعية، وفي هذا يقول محمد الشتوي: "إن مسرح الأطفال هو أحد الوسائط الفعالة في تنمية الطفل عقلياً وعاطفياً وجمالياً وثقافياً... فالفنون المتعددة التي يقدمها لنا توظف لدى الطفل الإحساس بالمبادئ الفنية الأولية والتي تساهم في تنمية وتنشيط الخلق والإبداع لديه" (الشتوي، 1988، ص156).

وتؤكد جملة النظريات النفسية أن الواقع الثقافي الذي ينشأ فيه الطفل له دور كبير في بناء شخصيته فتكوين الذكاء والقدرات لديه ناتج عن الجو الثقافي المحيط به؛ وفي هذا الصدد تقول الدكتورة فيولا ببلوي: "إن مجموعة معارف الطفل تتكون أساساً من الأسرة والبيئة والدين والتقدم الحضاري والتكنولوجي كمصدر للمعرفة؛ لكن هناك مجتمعات تتعدم فيها وسائط المعرفة وبالأخص في العالم الثالث؛ حيث تصبح أهمية مسرح الطفل مضاعفة لتعويض النقص الثقافي الناتج عن التخلف الحضاري" (عبد المنعم، 2007، ص17).

ومسرح الطفل في ظل التطورات الراهنة والشبكة المعلوماتية أضحت له أهمية بالغة وفعالة في عملية التعليم، والتنقيف ونشر الوعي، وواقع الممارسة المسرحية الموجهة للطفل في العالم تتباين مضامينها وأشكالها وفق عديد المسلمات، لكن تبقى الغاية الأسمى من ورائه هي إمتاع الطفل والترفيه عنه وإثارة معارفه ووجدانه وحسه الحركي التفاعلي.

وعندما نتحدث عن التنقيف الرقمي نقول إنه "ذلك الجزء من ثقافة المجتمع والذي يستخدم ثقافة الحاسوب والانترنت ونشر وتعميم ثقافة المجتمع لدى المواطن كي تكون هذه الثقافة متوائمة مع روح العصر" (مازن، 2004، موقع). إنها تصورات جديدة ومفردات دخيلة على جهازنا المصطلحي المتعارف عليه حيث أصبحنا نسمع عدة مصطلحات ونوظفها، على أساس أنها جزء من ثقافة علمية تدور حول روح العصر المعلوماتي، أو ما يسمى بالعالم الافتراضي، الذي استطاع أن يرقم عاداتنا وتقاليدينا. ونأخذ بعض الأمثلة مثلاً: الكتاب الإلكتروني، الألعاب الإلكترونية، القصص التربوية الإلكترونية وغيرها.

فقد دخل عنصر جديد في معادلة الاهتمام بالطفل تمثل في دخول العالم إلى عصر المعلومات رغبةً في الانتشار السريع حيث نجد تجاوزاً كبيراً من الأطفال لهذا النوع؛ فالكثير من الأطفال المدمنين على العوالم المرئية خاصة منها التلفزيون الذي يتواجد في كل بيت يقضون أغلب ساعات يومهم في مشاهدة ما يقدم لهم من برامج فيها.

وإذا تحدثنا عن جيل التليفزيون الذي اختلف عن الأجيال السابقة يمكن أن نطلق عليه جيل (الأنترنت)؛ فهو جيلٌ يختلف عما يسمى عندنا بالجيل الذهبي من خلال معاشته للحدث والتطور وقدرته على مطابقة الصورة الذهنية بالصورة المرئية لكل الأشياء المتوفرة في العالم؛ فالتلفزيون مثلا استطاع أن يجعل للطفل عالماً خاصاً به يحقق به وجدانه ويبني شخصيته. كل هذا الانخراط في هذا العالم المرئي يجعل الطفل يستقبل الأشياء في عالمه الخارجي عبر وسيط ولابد أن نتساءل عن جدوى هذا فما الذي يمكن أن يقدمه أو يضيفه للطفل؟.

فالبعض اعتبره ضرورة لانخراط الطفل في العصر المعلوماتي ولاستيعاب مستجداته؛ والبعض الآخر يرى فيه أنه تلهية للطفل ومضيعة للوقت. والحديث عن الثقافة الرقمية الخاصة بالطفل وتحديدًا طفلنا العربي يقودنا بالضرورة إلى الحديث عن بعض المعطيات التي فرضت نفسها مع هذا التمازج الحداثي. إنها "نمط جديد من الكتابة، يتجاوز الفهم التقليدي لفعل الإبداع الأدبي الذي يتمحور حول المبدع الواحد، إذ يشترك في تقديمه عدة كُتاب، كما قد يُدعى المتلقي/ المستخدم أيضا للمشاركة فيه، وهو مثال للعمل الجماعي المنتج، الذي يتخطى حدود الفردية ويفتح على آفاق الجماعة الرحبة، ويتوفر هذا الأدب الإلكتروني على أقراص مدمجة أو كتب إلكترونية يمكن تحميلها من المواقع على جهاز الحاسوب، كما يوجد هذا اللون الأدبي في الفضاء الافتراضي وشبكة الانترنت" (البريكي، 2006، ص99).

ولقد رأى العديد من النقاد أن المسرح لا يمكن أن يطرح عبر الغرف المغلقة، ويعتبرون أن هذه التجربة فاشلة وغير مجدية لأن المسرح حالة شعورية آنية تتشكل بين المرسل والمتلقي، أي بين الممثل والجمهور، حالة يعيشها الممثل مع الجماهير في لحظة التصفيق ولحظات الخوف والضحك، لحظات اندماج مع الشخصية، وهذا ما يجسد لنا قيمة المسرح الفنية والفكرية.

وباعتبار المسرح مرآة المجتمع، وما دام المجتمع في عزلة، فإن المسرح أيضا بالضرورة في عزلة، ثم إن هناك تعليمات تمنع التجمعات، والمسرح عمل جماعي فحتى ولو أراد فنانون المسرح أن يقدموا عملا بدون جمهور فإنه لا يمكنهم ذلك؛ ففكرة عرض مسرحية عبر منصات التواصل الاجتماعي فكرة جيدة لكنها لا تكفي للتأثير، وهي مع ذلك تعاني من بعض النقائص.

ولأن المسرح عمل جماعي يحتاج إلى جمهور لكي تصل الرسالة مباشرة، فمشاهدة عرض مسرحي مباشر ليست كمشاهدة عرض مسرحي عبر منصات التواصل الاجتماعي؛ فالمشاهد حينما يحضر لعرض مسرحي مباشر فإنه يستمتع بالعمل ويحس به أكثر ويتأثر به: وهو الشعور ذاته تماما كما لو أنك تشاهد

مباراة كرة القدم، فقد يرى البعض أن مشاهدة المباراة عبر شاشة التلفزيون تفتقد المتعة وكذلك هي المسرحية. لكن في النهاية لا بأس بتقديم عروض على شبكات التواصل الاجتماعي في هذه الجائحة خاصة إن كان العمل جيدا، فقد يؤثر في الطفل، وقد يساعد في الحملات التحسيسية للوقاية من الوباء، ثم إن للضرورة أحكاما غير الأحكام الطبيعية؛ فهذه الحالة استثنائية.

وطبيعة المسرح تعتمد على العرض والتلقي من قبل الجمهور، والتأثير والتأثر، وبالتالي يصعب تقديم مسرح بدون جمهور، والخوف من أن نعتد هذا النوع بشكل نهائي مما قد يدفعنا أو يجرنا إلى غلق خشبات المسرحية وهجرها، وبالتالي موت المسرح بمفهومه السائد وتقاليد وطقوسه.

6- خاتمة:

في الختام نقول إن شبكات التواصل الاجتماعي ساعدت المؤلفين على إبراز نوع جديد من المسرح نستطيع أن نطلق عليه اسم المسرح الرقمي أو مسرح الأزمات، وهو بدوره ساعد الكثير من المبدعين في هذا المجال على الظهور والإبداع في مواضيعهم، وخصوصا في هذه الفترة الحرجة التي كان لا بد أن نقف من خلالها لنتصدى جميعا لمخاطر هذا الفيروس. وقد استطاع هذا المسرح أن يقوم بدور كبير في توعية الطفل وتنمية ثقافته والتخفيف من ضغوطاته بشكل أو بآخر.

5. قائمة المراجع:

- إلياس، ماري وقصاب، حنان، (1977)، المعجم المسرحي، مفاهيم ومصطلحات المسرح وفنون العرض، ط1، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان.
- البريكي، فاطمة، (2006)، مدخل إلى الأدب التفاعلي، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب.
- الشنوي، محمود (1988)، ملحوظات حول المسرح التربوي، التجربة البريطانية، مجلة عالم الفكر مجلد 18(4)، 151-172، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.
- عبد الرحمن، الهاشمي، وآخرون، (2009) أدب الطفل: فلسفته أنواعه تدريسه، زهران للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
- عبد المنعم، زينب محمد (2007). مسرح ودراما الطفل، عالم الكتب للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر.
- عمارة، منصور، (2013)، دراسات مسرحية، ط1، دار ورد للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
- عمراني، عيسى، (2006)، المسرح المدرسي، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر.

- كنعان، أحمد علي، (2011)، أثر المسرح في تنمية شخصية الطفل، مجلة جامعة دمشق للعلوم التربوية والنفسية، المجلد 27(1-2)، 87-138.
- مازن، حسام محمد، (2004 يوليو)، الحاجة إلى برامج الثقافة العلمية الإلكترونية لنشر الوعي العلمي نحو التكنولوجيا للطفل العربي "رؤية مستقبلية"، المؤتمر العلمي الثامن للجمعية المصرية للتربية العلمية "الأبعاد الغائبة في مناهج العلوم بالوطن العربي". مستخرج من الرابط:
http://hosammazen.blogspot.com/2009/01/blog-post_8191.html (11/03/2021)
- مرعي، حسن، (1993)، المسرح المدرسي، ط1، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان.
- ميلاد، محمود، (2011)، المسرح المدرسي ورفع مستوى تحصيل طلبة التعليم الأساسي، مجلة جامعة دمشق للعلوم التربوية والنفسية، المجلد 27(1-2)، 139-176.